

## المرأة في حياة الأديب

« على ذكر مقال للأستاذ توفيق الحكيم »

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني



كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالاً في مجلة الثقافة عن المرأة في حياة الأديب ، أو لا أدري ماذا كان العنوان على وجه الدقة فقد غاب عني عدد الثقافة تحت أكداس من الورق والكتب والمجلات . وفي هذا المقال يذكر ( أو يقرر ) أن كل أديب أو كل عظيم لا بد أن تكون في حياته امرأة ؛ وهو يعنى بالمرأة ( على ما يؤخذ من ظاهر المقال إلا إذا كان له معنى أعمق خفي على ) امرأة مشوقة ، أى امرأة تكون علاقة الرجل بها جنسية ، شرعية كانت أو غير شرعية . وقد ذكر من أبناء الشرق السيدة خديجة ونبينا عليه الصلاة والسلام ، ثم طوى كل هذه القرون التي مضت ووثب إلى الدكتور طه حسين ثم إلى الأستاذ احمد أمين ثم إلى الأستاذ العقاد ، وعين المرأة التي يراها في حياة كل منهم ؛ ثم قال عني إن « الكذب » هبتي ( يعنى الخيال والاختراع وإن كان التعبير « بالكذب » غير موفق ) وقال إن الخيال يمتلئ بالحقيقة في كتابتي حتى ليتعذر الاهتداء إلى المرأة التي كان لها تأثير في حياتي ، ولكنه أعرب عن يقينه أن في حياتي امرأة ( ما في هذا ريب عنده ) . وقد اغتنمت فرصة كتاب جديد له ( راتصة المبد ) تفضل فأهدى إلى نسخة منه فكشفت إليه كلمة وجيزة في الموضوع على سبيل التصحيح ؛ ولكني أرى هنا أن أتناول الموضوع من ناحية أعم

وأنا أولاً لا أرتاح إلى هذا التناول لحبوات الناس الخاصة . وليس كونهم أديباً أو مشهورين لسبب ما ، بجزير في رأيي أن نجمل من حياتهم الخاصة وأحوالهم الشخصية « ممرضاً » ؛ وهذا عندي فضول أكرهه وأقل ما فيه أنه يُفقد المرء حريته واستقلاله . وإذا كنت أروى كثيراً مما أكتب على لساني وأورده بضمير الشكلم فليس معنى هذا أن ما أرويه وقع لي وإغما سناه أني أرتاح إلى هذا الأسلوب في القصة وأراه أعون لي على تمثيل ما أحاول وصفه وتصويره . فليس فيما أروى شيء شخصي ، وكثيراً

ما نهت إلى هذا ، ولكني أهمله أحياناً اعتماداً على فطنة القارىء ثم إنى ثابتاً لا أرى الأستاذ توفيق الحكيم مونتاً في رأيه ، فليس من الضروري أن يكون للرجل امرأة في حياته أو للمرأة رجل في حياتها ، أى أن تكون هذه المرأة المبتنة هي التي وجهت حياة وجهتها وأثرت فيها تأثيراً جملها كما هي . والقول بذلك لا يخرج في الحقيقة عن أن يكون مظهر تقليد لبعض ما يكتبه الغربيون . وقد ذكر الأستاذ توفيق السيد خديجة ونبينا عليه الصلاة والسلام على سبيل التمثيل ، وأراه في هذا المثال مبالغاً . فأتزوج النبي السيدة خديجة لأنه عشقها ، بل الذي حدث هو أنه عمل لها في مالها وتجارها فأعجبت بأمانته وسرها بحسن سيرته واستقامته فرغبت هي أن يكون زوجها . وجاءه رسول يدعو به إلى ذلك أو يقترحه عليه وكان هو يهرف لها فضائلها فقيل . وكانت له نعم الزوجة الحكيمة الروية الرزينة المخلصة . ولكنه ليس هناك عشق بالمعنى المهود ، ولا يمكن أن يقال إنها وجهته أو أثرت في حياته التأثير الذي يقصده الأستاذ توفيق حين يذكر المرأة في حياة الرجل ، وإن كان غير منكور أنها كانت إلى حد ما عامل استقرار وأمن وراحة في حياة النبي . وقد سألت الأستاذ توفيق في كتابي الخاص إليه عن المرأة المبتنة في حياة النبي أو ابن العلاء أو الشريف الرضي ؛ ولا بأس من سؤاله أيضاً عن هذه المرأة المبتنة في حياة أبي نواس وشار ومن إليهما . كلا . ليس من الضروري أن تكون في حياة الأديب امرأة مبتنة بالمعنى الجنسي وإن كانت حياة الرجل لا يمكن أن تخلو من المرأة على العموم . وفرق بين الأسيرين . على أن كل شيء في الحياة ليس عند الأديب أكثر من « مادة » وإن كان الأمر في بعض الأحيان يبدو غير ذلك عند النظر السطحي أو السريع وقد جعل الأستاذ توفيق مزيجي أو هبتي « الكذب » وأنا أشكر له أن رأى لي مزيجاً أو هبة ، ولو كانت « الكذب » ؛ وإذا كنت أخلط الخيال بالحقيقة فإني أحسب أن هذا لا مفر منه ، ولا أدب إلا به . وما أظن الأستاذ توفيق نفسه يفعل غير ذلك أو يشذ عنا معشر الأديب « الكذابين » ، فإنا كان الأديب قط ولن يكون عدسة آلة تصوير . وإذا كان الأستاذ توفيق يظن أن الأستاذ العقاد لم يفعل في رواية « سارة » أكثر من أن يروي حادثة كما وقعت فإنه يكون قد ركب من الوهم شرراً « الحُمْر » فإن مزيجاً

«سارة» النورس في لغة النفس  
لا الحكاية بمجرد ما، والكنت  
عن أحق خطابها، والتحليل  
المدقق للخواطر والمواضع.  
ولا قيمة لكون القصة حقيقية  
أو غير حقيقية وإلا عطلنا  
بالأدب إلى الإعلانات التي يقول  
فيها أصحابها إن القصص التي  
ينشرونها في مجلاتهم وقت فعلاً  
وليس ما نتبع أن تكون  
في حياة الأديب أو سواء  
«امرأة معينة»، ولكنه ليس  
من المهم أن تكون هذه المرأة  
المعينة زوجة أو تلميذة، أي  
مشوقة على التبرم، ولا أن  
تكون العلاقة بها علاقة جنسية.  
تقد تكون أمًا أو أختًا أو  
صديقة أو بنتًا. وقد كانت  
في حياتي امرأة ذلك الأستاذ  
توفيق عليها في رسالتي إليه  
وهي أمي، فقد كانت أمي وأبي  
وتدبتي، وليس هذا لأنه  
لم يكن لي أب، فقد كان لي  
أب كثير من الناس، ولكنه  
آثر أن يموت في وحدتي،  
فتأثرت أمي هي الأب والأم، ثم  
صارت على الأيام هي الصديق  
والروح اللهم. وقد استنفدت  
أمي عاطفتي الحب والإحلال،  
فلم تبقى لي حباً أستطيع أن  
أفهمه على إنسان آخر، أو  
إجلالاً لسواها، وبمثل في ذلك

## من حبر حبر القلمي

قرأت لك في مقال أنك تساعد ناسخة الأدب .  
واشترطت لذلك شروطاً . وإني راض بها وإنيك ما يزيدك  
معرفة بي : إني قراض نذكر ، أجرى ضئيل يبلغ ١٢٠  
ملياً في اليوم . وإطلاقي محدود . وذلك تابع عن قري .  
لا أقرأ غير الرسالة والرواية والثقافة . ولم أقرأ من الكتب  
غير بعض مؤلفات المنطوقى وكتب أخرى . وكانت كتابتي  
جيدة في الموضوعات الخيالية فقط . ولكن منذ بدأت  
أناثر بكم تغلبت طريقتكم على . وأنا أقوى الذاكرة وأميل  
إلى التفكير . وأستطيع أن أفق في شراء الكتب الأدبية  
ما يقرب من نصف الجنيه شهرياً كما أنني أستطيع أن أختلس  
للأدب خمس ساعات يومياً . لعل في هذه الإيضاحات ما يهون  
عليكم أمر مساعدتي على السير في طريق الأدب الذي تصفونه  
بأنه وعمر شائك . ولقد زاد إغرائي به ما نشرتموه في «الرسالة»  
من تحذير للشبان من الاشتغال به في هذا العصر . . . !  
نشرت هذه الرسالة التي جاءتني ضمن عشرات الرسائل  
في هذا الموضوع لسبب واحد : هو محبي وإيماني بقاري  
تلك حاله . يبذل عن طلب خاطر سدس مرتبه الشهرى  
ونسطاً وقرأ من وقته في سبيل الأدب . إنه ذكرني بقراء  
أوروبا . أولئك الذين يخصصون جزءاً هاماً في ميزانياتهم  
للكتب ووقتاً منتظماً معلوماً للقراءة . مثل هؤلاء القراء  
هم الذين قلت على أكتافهم نهضة أوروبا الأدبية . وهم  
الذين ظهر من بينهم أدباء أوروبا العظام . فإن الأديب  
لا يتخرج في مدرسة . إنما ينبت في حقل الكتب  
والطالعات الشخصية . وفي الأدب الفرنسي الحديث مثل  
صارخ لأديب من أصل بلقاني هو : « بانيت استران »  
لم يكن يعرف الفرنسية ولكنه غرق سنوات في المطالعة  
وضن بماله القليل على الطعام وأنفقه في شراء كتب جعل  
يلتهم صفحاتها الهاماً . وإذا هو في يوم من الأيام قد  
استطاع الكتابة بالفرنسية وإذا هو كاتب معروف يربح من  
كتبه الألو . اعطوني إذن ألفين من طراز هذا القاري  
وأنا أضمن لمصر نهضة أدبية رائمة وأدباء جدد يسيرون  
في طريق الهدى .  
توفيق الحكيم

كشك من يمصر عوداً من  
القصص ويتصر كل ما به ، ولا  
يبقى من المودعة ذلك إلا الخصف  
الذي لا يصحح إلا للوفود .  
ومن هنا عجزى عن الحب بالمنى  
الشائع . ثم أستطيع أن أصدق  
وأصغر بالود ، ولكن انشق  
على مثال مجنون ليل أو كما يصفه  
لنا الشعراء حال لا قيل لي بها  
ولا طاقة لي عليها لأن ذبحرتي  
من هذه الماطقة نعدت وليس  
في وسع نفسي أن تبدل هذا  
المجهود مرة أخرى .

ومع ذلك أقول إنى أرى  
في عاطفتي لأنى غير قليل من  
جهد الليل وإرادة النفس ،  
وهي في الأصل ولا شك عاطفة  
صادقة وقوية ولكنه يخيل  
إلى أنى غدتها وقوتها بالإيحاء  
المستمر إلى النفس ، لأنى  
كانت لوفى دائم الإحترار لما في  
جوفى . وأحسب أن الماطقة  
قد راتنى وفتنتى إلى حد ما ،  
أو أنى وجدت فيها رياءً لنفسى  
أنشده فأخطئه ، فتعلقت بها  
وضيخت أمرها ، وقوتها  
بالمؤوب في الإيحاء كما تقوى  
النار بالحطب حتى استقرت  
نفسى كلها . وعمرت صدرى  
أجنته . وما أظن إلا أن هذا  
سبيل كل إنسان فإنه لا يقا  
( البقية على صفحة ٨٦٨ )